المعوقات الدّعوية وأثرها السّيء على الدّعوة وطرق التّغلب عليها. -القيروان الدّولة العبيديّة أنموذجا-

Advocacy obstacles and their negative impact o, advocacy and ways to overcome them. -Kairouan, the slave state as a model-

د. الدكتور: مصطفى حنانشة[1]
جامعة الشّهيد حمّة لخضر الوادي

Dr.Mostapha Henancha[1]
University of Chahid Hama Lakhdar - ElWadi

البريد الإلكتروني: hanancha-mostafa@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام:04 / 12/ 2020	تاريخ القبول: 08/ 06/ 2021	تاريخ النشر: 30/06/ 2021

ملخص:

قدمنا في ورقتنا هذه البحثيّة الموسومة بالمعوقات الدّعويّة وأثرها السّيء وطرق التّغلب عليها، القيروان زمن الدّولة العبيديّة أنموذجا، تعريفا للمعوقات التي تنقسم لقسمين خارجيّة وداخليّة، وتعريفا الدّعوة، ثمّ عرّفنا مدينة القيروان وتاريخها المشرق ومكانتها الدّعوية والعسكريّة، وعرّجنا على أهم معالم دولة العبيديين، ثمّ ذكرنا أهم الوسائل التي استعملها العبيديون في إعاقة دعوة أهل السّنّة مع ذكر نماذج منها فرض فكرهم وقتل وسجن وتهجير العلماء ومنعهم من التّدريس وإغراء آخرين، وذكرنا أثرها السّيء على أهل السّنّة، ثمّ ذكرنا أهم الوسائل التي قاوم بها علماء السّنّة المالكيّة الهجمة الباطنيّة، كمناظرتهم والرّد عليهم وفضح عقائدهم وزيفهم ومقاطعتهم والخروج عليهم بالسّيف، وبيّنا كيف استطاعوا بذلك النّجاح في تثبيت النّاس على دينهم، وذكرنا الخسائر الماديّة والأرواح التي أزهقت في سبيل ذلك، وخلصنا إلى أنّ العلماء لهم القدرة على التّصدي لكل المعوقات إذا وجد العلم والقصد الطّيب والتّوفيق من الله تعالى، وأوصينا بدراسة تاريخ الدّعوات واستخراج الوسائل المفيدة في زمننا لتجاوز المعوقات الدّعويّة المعاصرة.

المؤلف المرسل: corresponding author : hanancha-mostafa@univ-eloued.dz

الكلمات المفتاحية: المعوقات، الدّعويّة، القيروان،العبيديون.

Abstract

We presented in our paper this research which is characterized by the da'wah obstacles, their bad impact, and ways to overcome them.

Kairouan is the time of the Ubayd state as a model, defining the obstacles that are divided into two parts, external and internal, and defining the da'wah, Then we defined the city of Kairouan, its bright history and its preaching and military position, and we introduced the most important features of the state of the Ubaydis,Then we mentioned the most important means used by the Abidis to hinder the da'wah of the Sunnis, with examples of them as imposing their ideology, killing, imprisoning and displacing scholars and preventing them from teaching and seducing others, We mentioned its bad impact on the Sunnis, then we mentioned the most important means by which the scholars of the Maliki Sunnah resisted the esoteric attack, such as debating them, responding to them, exposing their beliefs and their falsehood, boycotting them and breaking them with the sword. And we explained how they were able to achieve success in fixing people to their religion, and we mentioned the material losses and lives lost for that.

We concluded that scholars have the ability to confront all obstacles if there is knowledge, good intent and success from God Almighty, and we have recommended studying the history of da'wah and extracting useful means in our time to overcome contemporary da'wah obstacles.

Keywords *: the da'wah obstacles, Kairouan,Abidion.*

corresponding author : ***hanancha-mostafa@univ-eloued.dz*** **المؤلف المرسل:**

1. المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين حمدا يليق بجلاله على الدّوام الذي يؤيد الحق وينصره مهما علا الباطل واستطال، والصّلاة والسّلام الأتمّان الأكملان على سيد المخلوقات والأنام، وبعد أنّ من الإخلال في حق الدّعوة، أن تهمل المشكلات والعقبات التي تواجهها، ويتجاهل أمرها، حتى تتمكن في طريق الدّعوة ويصعب علاجها، كذلك أن تضخمَّ الأخطاء والمشكلات، فتتحول المشكلة الخفيفة والخطأ الصغير جبلا يعجز النّاس عن تجاوزه، فيصيب النّاس اليأس والقنوط.

فعلى الدّعاة أن يجتهدوا في معرفة المعوقات ويشخصوها، ويبذلوا وسعهم في علاجها، والحدّ من انتشارها، ويفكروا في طرق الوقاية منها، فالأمر كلّه بيد الله، قال تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبُلنا وإنّ الله لمع المحسنين**﴾[العنكبوت-69]. ومع ذلك يجب على الدّعاة أن يعلموا أنّ من توجيهات القرآن الكريم في تشخيص المعوقات، وكشف الأخطاء: أن يُرجع فيها إلى النّفس، قبل أن يبحث عنها في الآخرين، ويوجه اللوم إليهم، قال تعالى: ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير**﴾ [الشورى:30].وقال أيضاً: ﴿**أوَلَمَّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنّى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير**﴾ [آل عمران:165]·وقال سبحانه: ﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للنّاس رسولاً وكفى بالله شهيداً**﴾[النساء:79]· لكن الغفلة حاجبة عن الرّؤية الصّحيحة.

فهذا الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يعلل تأخير النّصر في غزوة من الغزوات بقوله: «لا يقف الكفر أمام الإيمان من غداة إلى عشية إلا بذنب أحدثتموه أنتم أو أنا»·ويقول في مقام آخر:«أما بعد: فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، تقاتلونهم منذ سنين، وما ذاك إلا لما أحدثتم وأصبتم من الدّنيا ما أحبَّ عدوكم، وإنّ الله تعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم»[(1)].

(1) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي ، 5/ 705.

وفي تاريخ المسلمين القديم من مغربنا الإسلامي وقعت عدّة معوقات أصابت الدّعاة، منها قيام الدّولة العبيديّة في القيروان التي يجمع المؤرخون على أنّها واجهت موقفا متصلبا من طرف علماء الغرب الإسلامي، وخاصّة المالكيون بالقيروان، فقد واجه عبيد الله المهدي صعوبات كبيرة في بسط نفوذه المذهبي على المجتمع الإفريقي السّني، حيث جابهه أهل إفريقيّة وعلماؤها المالكيّة؛ بالمقاطعة السّلبية والإنكار أولا، ثمّ بالقوة ثانيا. ويذكر أن المذهب المالكي استقر في القيروان وغيرها من مدن إفريقيّة، وأنكر أتباعه المذهب الإسماعيلي، وعارضوا فرضه على أهل السّنّة، كما أنكروا مظهر القداسة الذي أراد عبيد الله المهدي أن يحيط نفسه به، وساءهم ما أمر به خطباءَه من سبّ الصّحابة على المنابر.

-الإشكاليّة: بعد دخول المذهب الإسماعيلي الباطني براية الدّولة العبيديّة المخالف في عقائده وفروعه وسلوكاته ما عليه أهل القيروان، وتوليه للحكم ومحاولة فرض فكره بالقوة على العلماء والعامّة وتغيير أساسيات المجتمع القيرواني، ومواجهة العلماء المالكيّة لهذا التّغيير الكبير جدا، الذي تدعمه قوة السّلطان والمال والسّلاح، تطرح عدّة أسئلة: كيف حاول العبيديون فرض فكرهم وسلطتهم على القيروانيين؟ وكيف واجه علماء السّنّة المالكيّة ذلك؟ وما هي العقبات التي واجهت دعاة السّنّة؟ وما الوسائل المستعملة لتجاوز هذه العقبات في طريق الدّعوة الصّحيح؟ وما النّتائج التي تمخضت عن ذلك؟ وغيرها من الأسئلة الفرعيّة التي ستجيب عنها هذه الورقة البحثيّة.

أهميّة البحث:

-مكان الدّعوة الإسلاميّة وأهميّتها عند المسلمين والعوائق المتكررة وسبل النّجاح.

-مكانة القيروان في الغرب الإسلامي والأحداث الجسام التي مرّت بها.

أهداف البحث:

-معرفة تاريخ الدّعوة في عاصمة الغرب الإسلامي وأهم العوائق التي تعرّضها لها دعاة الحق، وأهم الوسائل التي تغلّبوا بها على تلك العوائق.

الدّراسات السّابقة: لم نجد من خصّص دراسة بهذا العنوان وجمع المادة العلميّة، لكن مادته مبثوثة غير منظمة بهذه العناوين.

منهج البحث:تتبعنا منهج الاستقراء لمعرفة أهم الأحداث وأبرز العوائق وأفضل الوسائل للتّغلب على العوائق، ثمّ تحليل تلك الأحداث.

خطة البحث:

وقد رسمنا خطة كفيلة بالإجابة عن هذه الإشكاليّة.

أولا: تعريفات: وتناولنا فيها تعريف المعوقات؛ والدّعوة، والتّعريف بالقيروان وما تلعبه من دور في الدّعوة بصفتها أول مدينة بُنيت بعد الفتح الإسلامي، ثمّ عرفنا بالدّولة العبيديّة التي أصابت القيروانيين بمصائب كبيرة محاولة تغيير فكرهم.

ثانيا: المعوقات وأثرها السّيئ:وذكرنا فيها أهم المعوقات التي اتبعتها الدّولة العبيديّة كوسائل لفرض فكرهم.

ثالثا: طرق التّغلب على المعوقات وثمارها: وتناولنا فيها الوسائل و الطّرق التي اتّبعها علماء الملكيّة للتّصدي للمد الإسماعيلي ونجاحهم في ذلك.

2. تعريفات:

1.2. تعريف المعوقات:

لغة: عَاقَهُ (عَوْقًا) من باب قال واعتاقه وعوّقه بمعنى منعه[1].

اصطلاحا:في هذا الجانب تكمن في تحديد مصطلح مشكلات الدّعوة وعقباتها: فإنّنا نريد بمعوقات الدّعوة (مجموعة الأخطاء والمعوقات التي يقع فيها الدّعاة أو يواجهونها في طريق دعوتهم، داخليّة كانت أو خارجيّة) حيث تشكّل هذه الأخطاء والمعوقات مشكلة في سبيل دعوتهم.

وكثيراً ما ينصرف ذهن النّاس أمام مصطلح المعوقات إلى العقبات الخارجيّة التي يواجهها الدّعاة من قبل أعداء الدّعوة، غافلين عن المعوقات الدّاخلية في صفوفهم ونفوسهم، مع أنّها الأخطر على الدّعوة والأكبر أثراً فيها. ذلك لأنّ خطأ الدّاعية في مفهوم دعوي، أو في منهج أو

(1) المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرّافعي، أحمد الفيومي: 2/ 438.

أسلوب أو وسيلة، قد يفعل بالدّعوة ما لا يفعله الأعداء فيها، لأنّه مرض داخلي خفي، قد يفتك بالمريض دون أن يشعر به وينتبه إلى ضرورة علاجه. أمّا العقبة الخارجيّة، فغالباً ما تكون بارزة ملحوظة للدّعاة والمدعوين على السّواء، يحذر النّاس منها، ويخططون لمواجهتها[1].

فالمعوقات سواء كانت داخليّة أو خارجيّة هي تلك التي تعيق سير الدّعوة أو تعمل على وصولها مشوهة أو تجعل المدعو يرفضها؛ وغيرها من المظاهر التي تحيل دون تحقق أهداف الدّاعيّة.

2.2. تعريف الدّعوة.

لغة: وهي مشتقة من الفعل الثّلاثي دعا يدعو دعوة، والاسم: الدَّعوة، والقائم بها يسمّى داعية، والجمع: دعاة، ولكلمة الدّعوة في اللغة عدّة معان: النّداء، والطّلب، والتّجمع، والدّعاء، والسّؤال، والاستمالة [2].

ودعا الرّجل دعوا ودعاء: ناداه، والاسم: الدّعوة. ودعوت فلاناً أي صحت به واستدعيته...والدّعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع. ورجل داعيّة إذا كان يدعو النّاس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة [3].

اصطلاحا: لقد حظيت الدّعوة بعدّة تعريفات متقاربة ومبنيّة على الزّاوية التي ينظر منها كلّ واحد:

-هي دين الله الذي بعث به الأنبياء - عليهم الصّلاة والسّلام - جميعاً، تجدد على يد محمّد ﷺ خاتم النبيين، كاملاً وافياً لصلاح الدّنيا والآخرة .

وقيل: هي دين الله الذي ارتضاه للعالمين؛ تمكيناً لخلافتهم، وتيسيراً لضرورتهم، ووفاءً بحقوقهم، ورعايةً لشؤونهم، وحمايةً لوحدتهم، وتكريماً لإنسانيتهم، وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم .

---

(1) http://midad.com/article/213601/%D8%A8%D8%B5%D8%A7%D8%A6%D8%B

(2) ينظر: مختار الصّحاح: محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرّازي، ص:105.

(3) لسان العرب، محمّد بن مكرم بن علي،ـ 14/ 258-259.

وقيل: هي الضّوابط الكاملة للسّلوك الإنساني، وتقرير الحقوق و الواجبات.

وقبل: هي ذلك وبعده: الاعتراف بالخالق، والبر بالمخلوق [1].

وقيل: هي نداء الحق للخلق؛ ليوحدوا المعبود، ويعبدوا الواحد، حنفاء لله غير مشركين به، متبعين غير مبتدعين [2].

فالدّعوة هي نداء النّاس واستمالتهم لدين الله تبارك وتعالى الذي جاء به الأنبياء والذي يحمل العدل والخير بوسائل ربانيّة متعددة، وغايات نبيلة وشريفة رحمة وشفقة بالمدعويين.

3.2. التّعريف بالقيروان: مدينة القيروان هي إحدى المدن التونسيّة التي تقع على بعد 160كم من العاصمة التّونسيّة؛ لها تاريخ مشرق فقد قال العلامة ابن خلدون:« إنّ القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والأندلس، واستبحر عمرانهما، وكان فيهما للعلوم والصّنائع أسواق نافقة، وبحور زاخرة، ورسخ فيهما التّعليم، لامتداد عصورهما، وما كان فيهما من الحضارة [3].

يُعتبر إنشاء مدينة القيروان من قبل سيدنا عقبة بن نافع رضي الله عنه بعد فتح أفريقيّة بداية تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في المغرب العربي. ويعود تاريخ القيروان إلى عام 50هـ / 670 م، عندما قام بإنشائها عقبة بن نافع. وكان هدفه من هذا البناء أن يستقر بها المسلمون، إذ كان يخشى إن رجع المسلمون عن أهل إفريقية أن يعودوا إلى دينهم. وقد اختير موقعها على أساس حاجات استراتيجيّة واضحة. فقد ذكر عقبة بن نافع أصحابه بعد الفتوح في المغرب: "إنّ أهل هذه البلاد قوم لا خلاق لهم إذا عضهم السّيف أسلموا، وإذا رجع المسلمون عنهم عادوا إلى عاداتهم ودينهم ولست أرى نزول المسلمين بين أظهرهم رأيا وقد رأيت أن أبني ها هنا مدينة يسكنها المسلمون فاستصوبوا رأيه" [4]، فلقد

(1) الدّعوة الإسلاميّة دعوة عالمية، محمّد عبد الرّحمن الرّاوي، ص: 11-12.

(2)التّخطيط للدّعوة الإسلاميّة وأهميته، عبد رب النّبي علي أبو السّعود ، ص: 19.

(3) تاريخ، ابن خلدون:1/ 544.

(4) معجم البلدان، للحموي:4/ 420.

كانت المدينة تلعب دورين هامين في آن واحد هما الجهاد والدّعوة. فبينما كانت الجيوش تخرج منها للغزو والفتح، كان الفقهاء يخرجون منها لينتشروا بين البلاد يعلمون العربية وينشرون الإسلام، بل إنّ الدّور الذي لعبته المدينة في إدخال البربر في الإسلام لا يقل عن الدّور الذي لعبه القادة الفاتحون. فلقد دخل البربر الإسلام منذ الفترة الأولى للفتوحات وخاصّة عندما رأى البربر عقبة بن نافع وهو ينشئ القيروان بنفسه فتأثروا بشخصيته الدّينية وبما كان يظهره من التّفاني في سبيل الإسلام، فدخلت جماعات كبيرة منهم الإسلام على يديه وانضمت إلى القوات المحاربة. وقد كان لهذه المدينة منزلة دينية عظيمة في نفوس المسلمين وكانوا يعتبرونها مدينة مقدسة ولا يدخلها غير المسلمين .

وكانت القيروان صغيرة المساحة عند إنشائها، وقد جعل عقبة بن نافع دار الإمارة في وسطها، وإلى جوارها المسجد الذي حرص على أن يشمل مدرسة لتعليم اللغة والدّين. كما عمل عقبة على أن تضم القيروان مناطق تنتمي إلى القبائل العربية والبربرية. فجعل منطقة للقحطانيين، وأخرى لبني ربيعة، وثالثة لبني مضر، ورابعة للبربر [1] .

وقد لعبت مدينة القيروان دورا رئيسيا في القرون الإسلامية الأولى، فكانت العاصمة السّياسيّة للمغرب الإسلامي ومركز الثّقل فيه منذ ابتداء الفتح إلى آخر دولة الأمويين بدمشق. وعندما تأسست الخلافة العباسية ببغداد رأت فيها عاصمة العباسيين خير مساند لها لما أصبح يهدد الدّولة الناشئة من خطر الانقسام والتّفكك. ومع ظهور عدة دول مناوئة للعاصمة العباسيّة في المغرب الإسلامي دولة الأمويين بالأندلس[2]،

(1) المدن والآثار الإسلاميّة أحمد الخالدي:https://books.google.dz/books.56 ، يوم 06/ 09/ 2017.

(2) أسّسها عبد الرحمن الداخل(138هـ-424هـ) بالأندلس(أسبانيا والبرتغال)، ينظر: البيان المغرب، لابن عذارى:2/ 39.

الدّولــة الرّستميّة في الجزائر[1]، والدولة الإدريسيّة العلوية في المغرب الأقصى[2].

وكانت كلّ دولة من تلك الدّول تحمل عداوة لبني العباس خاصّة الدّولة الإدريسيّة التي تعتبرها بغداد أكبر خطر يهددها. لهذا كلّه رأى هارون الرّشيد[3] أن يتخذ سدّا منيعا يحول دون تسرّب الخطر. ولم ير إلا عاصمة إفريقيّة قادرة على ذلك، فأعطى لإبراهيم بن الأغلب[4] الاستقلال في النّفوذ وتسلسل الإمارة في نسله. وقامت دولة الأغالبة (184-296هـ / 800 -909م) كوحدة مستقلة ومدافعة عن الخلافة. وقد كانت دولة الأغالبة هذا الدرع المنيع أيام استقرارها، ونجحت في ضم صقلية إلى ملكها عام 264هـ / 878 م.

4.2. التّعريف بالدّولة العبيديّة (296-362هـ)[5]:

في موسم الحج من عام (279هـ) التقى أبو عبد الله الحسين بن أحمد الشّيعي وكان ذا دهاء ومكر بطائفة من حجاج إفريقية البربر من أهل كُتامة، وأظهر لهم الحب لآل البيت والرّغبة في نشر العلم، ممّا حدا بهؤلاء الكُتاميين إلى استضافته في ديارهم، فلم يلبث مدّة حتّى عظم أمره واستفحل، ودعا للمعصوم من آل الرّضا سليل آل البيت فيما يزعمون[6] كان مؤسس هذه الدّولة الفاطميّة أبو

(1) أسّسها عبد الرحمن بن رسم سنة (160هـ-296هـ) بتهارت الجزائر، ينظر البيان المغرب، لابن عذارى:1/ 196.

(2) أسّسها إدريس بن عبد الله(172هـ- 375هـ) بالمغرب الأقصى.ينظر البيان المغرب، لابن عذارى:1/ 82.

(3) تاريخ خليفة بن خياط:464.

(4) إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال أبو إسحق(140هـ- 169هـ) ولاه الرشيد إفريقية بعد محمّد بن مقاتل العكى فأستقل بملكها وأورث سلطنها بنيه نيفا على مائة سنة وكان فقيها عالما أديبا شاعرا خطيبا ذا رأى وبأس وحزم ومعرفة بالحرب ينظر الحلة السّيراء:93.

(5) ينظر: الكامل في التّاريخ، ابن الأثير، ج7ص:24-53.

(6) هناك خلاف قديم بين النسابة والمؤرخين في صحة نسب عبيد الله المهدي لآل البيت، وإن كانت جمهرة العلماء على الطّعن فيه، ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7ص: 24-30، واتّعاظ الحنفا، للمقريزي، ج1، ص: 15-35.

محمّد عبيد الله المهدي الذي بنى مدينة المهديّة باسمه على ساحل البحر وصيرها عاصمة ملكه سنة 308هـ.

وفي سنة: (333هـ ــ334هـ) هاجم أبو يزيد القيرواني عاصمة العبيديين، وكاد أن يقضي على دولتهم وهي لا تزال في خطواتها الأولى وقد استمال إليه شيوخ القيروان من الفقهاء والعلماء حيث شاركوه في هجومه على المهدية سنة 333هـ، بيد أنّه خذلهم عندما تركهم وجها لوجه مع قوات العبيديين حيث استشهد منهم خمسة[1] وثمانون عالما وفقيها زيادة على العامّة[2].

وتعاقب أربعة خلفاء على هذه الدّولة قبل أن تنتقل إلى مصر، وهم:

1- المهدي عبيد الله بن عبد الله بن الحسين التقي(296-322هـ).
2- القائم بأمر الله مزار بن عبيد الله بن عبد الله (322-334هـ).
3- المنصور إسماعيل بن نزار بن عبيد الله (334-341هـ).
4- المعز لدين الله معد بن إسماعيل بن نزار (341-361هـ).

3. المعوقات وأثرها السّيئ.

وقد عمل المهدي عبيد الله بن عبد الله منذ أن استولى على أن يكون هو السّيد المطلق للدّولة النّاشئة، فتلقب بالمهدي وراح يعلن عن تعاليم مذهبه بنفسه وبواسطة دعاته الذين بثهم في كلّ الأنحاء ليعلنوا أنّ المهدي رسول ونبي، كما أمر أن يذكر اسمه في الخطبة بالبلاد، وأحضر دعاته النّاس بالعنف والشّدّة ودعوهم إلى اعتناق مذهبهم، فمن أجاب أحسن إليه، ومن أبى حبس، وقتل المهدي كثيرا ممن رفضوا الدّخول في مذهبه من بينهم مجموعة من العلماء وهذا ما أوغر صدور النّاس عليه. وقد كانت لهم جرأة كبيرة على التّنكيل بمخالفيهم بأفظع الوسائل، كما أنّهم كانوا من أجرأ النّاس وبأقبح الأساليب على سبّ صحابة رسول الله ﷺ، فضلا عن قدرتهم على انتحال

(1) ينظر: رياض النّفوس، المالكي، ج2، ص292-299، و338-345، معالم الإيمان، الدّباغ، ج3، ص:29-34، وترتيب المدارك، عياض، ج 3، ص:318-321.

(2) معالم الإيمان، الدّباغ، ج3ص34:. الكامل في التّاريخ، ابن الأثير، ج8، ص:428-434.

البدع التي لا صلة لها بالإسلام، وإلزام النّاس بها وكأنّها من شرع الله. أظهر بعض النّاس ممّن تشرّقوا معاصي خطيرة، منها أنّهم أحلّوا ما يحرم وأكلوا الخنزير وشربوا الخمر في رمضان، وشناعات لا تُعدّ ولا تحصى[1]. وسنذكر عدّة وسائل استعملوها لبث دعوتهم:

3. 1. الدّعوة للدّخول في مذهب العبيديين بقوة السّيف: بعد قيام دولة العبيديين أمر المهدي عبيد الله بن عبد الله بذكر اسمه على المنابر وأحضر النّاس بالعنف والشّدة ودعاهم إلى اعتناق مذهبهم الشّيعي، فمن أجاب أحسن إليه ومن أبي حُبس، فلم يدخل مذهبهم إلا بعض النّاس وقتل كثيرا ممّن لم يوافقوه على قولهم[2].وكان من مذهبهم الشّنيع أنّ عبيد الله هو المهدي المنتظر، وأنّه الإمام المعصوم وجاهر بسبّ أصحاب النبيّ ﷺ وأزواجه الطّاهرات، وحكم بكفرهم وارتدادهم عن الإسلام، ولم يستثن إلا عليّا وقليلا ممن أيده وناصره[3] ونصّب حسينا السبّاب في الأسواق للسبّ بأسجاع لقّنها يوصل منها إلى سبّ النّبي ﷺ، كقوله: "العنوا الغار وما وعى، والكساء وما حوى" وغير ذلك، وعلّقت رؤوس الأكباش والحمر على الحوانيت عليها قراطيس معلقة فيها أسماء الصّحابة رضي الله عنهم [4]. وقطع صلاة التّراويح، وأبطل الآذان السّنّي وأبدله بالآذان الشّيعي، وانتهكت حرمات المساجد في أيامه، فقد روي أنّ بعض أتباعه أدخلوا خيولهم المسجد، ولمّا قيل لهم: "كيف تدخلون خيولكم المسجد؟"، قالوا: "إنّ أرواثها وأبوالها طاهرة لأنّها خيل المهدي"، فقال لهم القيّم على المسجد: "إنّ الذي يخرج من المهدي نجس، فكيف بالذي يخرج من خيله"،

(1) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى، 1/ 186.

(2) وهم في انتظاره كما سبق وإلى الإسماعيليّة نقلوا الخلافة من جعفر الصّادق إلى ابنه إسماعيل ثم ساقوها في عقبه، فمنهم من انتهى بها إلى عبيد الله هذا المهدي وهم العبيديون، ولا يعرف لمحمّد بن إسماعيل ولد اسمه عبيد الله...ينظر: تاريخ ابن خلدون، ج3، ص:442،

(3) رياض النّفوس، أبو بكر المالكي، ج2، ص: 37.

(4) المالكي: المصدر السابق، ج2، ص: 43 . ترتيب المدارك، القاضي عياض، ج3، ص: 247.

فقالوا لـه:«طعنت على المهـدي» ، وأخذوه ثمّ قتلوه [1].وغيرها من المواقف التي تبين نهج القوة في دعوة النّاس.

2.3. قتل كلّ من يرفض أوامر العبيديين: وممّا تميزت به هذه المرحلة التّاريخية أحداث جسام مرت على أهلّ السّنّة والجماعة من المالكيّة أثناء حكم العبيديين بسبب ما نفذّه هؤلاء من أحكام الإعدام لأهل العلم وحفظته من مخالفيهم، ففي أول جمعة صلّاها عبيد الله المهدي بالقيروان وقتله لشيخين فاضلين من شيوخ أهل القيروان سنة مائتين وسبع وتسعين هجريا(297هـ)، من قِبل عبيد الله المهدي وهما ابن البرذون[2] وابن هذيل[3] ويذكر الدّباغ سبب قتل ابن البرذون أنّه كان يقول: «كان علي بن أبي طالب ﷺ يقيم الحدود بين يدي عمر بن الخطاب ﷺ ، ويعينه على أموره، فلو لم يكن عنده إمام هُدي، مُستحقا للتَقْدِمَة ما فعل ما فعل»[4]. ولقي عروس المؤذن حتفه مقتـولا بالرّماح بأمـر من عبيد الله الشّيعي سنة سبع وثلاثمائة(307هـ)ـ بعد أن قُطع لسانه، وطِيف به في القيروان، وذنبه أنّـه لم يقل في آذانـه حي على خير العمل [5].وأمّا أبو عبد الله محمّد بن عبد الله السّدري المجاهر بعداوة الشّيعة المبايع على جهادهم فقد أرسل عبيد الله الشّيعي مَن يأتيه به إليه، ولمّا أوقف بين يديه قال له عبيد الله: « أنت الشّاتم لنا الذّاكر عنّا أنا أحدثنا في الإسلام الحوادث»، فقال له:«نعم أنا القائل بذلك»، فقال له:«وما الذي رأيته منّا»؟، فأخبره بكلّ ما يعتقده في الدّين

(1) البيـان المغـرب في أخبـار الأنـدلس والمغـرب، ابن عذارى ، ج1، ص: 284.

(2) هو أبو إسحاق الرّضي الشّهيد المعروف بابن البرذون، سمع من رجال سحنون كعيسى بن مسكين ويحي بن عمر وكان فقيها يذهب بن الحداد في مناظرة الرّوافض ضربه القاضي الصّديني الذي كان يصرّح بخلق القرآن، قتله عبيد الله المهدي 297هـ، ينظر: معالم الإيمان، الدّباغ، ج 2، ص:261-265.

(3) هو: أبو بكر بن هذيل الفقيه سمع من رجال سحنون كيحي بن عمر ولبن حماد وابن مسكين كان زاهدا يعيش من غزل زوجته ونسجها سعي به القاضي المروذي إلى بني عبيد فقتلوه مع ابن البرذون في نفس اليوم، ينظر: ترجمته معالم الإيمان، الدّباغ، ج2، ص:266-269، ورياض النّفوس، أبو بكر المالكي، ج2، ص:48-49.

(4) معالم الإيمان، الدّباغ، ج2، ص:262-263.

(5) تـاريخ علمـاء الأنـدلس، ابن الفرضي، ج1، ص:236، ترجمة رقم :393.

والإسلام، وكلّ ما أحدث فيهما، فقال حينئذ عبيد الله لأوليائه:« اضربوا عنقه »، فقتل رحمه الله سنة تسع وثلاثمائة (309 هـ) [1].

3.3. سجن وطرد وهروب العلماء: وقد تعرّض مجموعة من العلماء إلى مصائر مختلفة حسب صلابة العالم وخوفه، وقد سُجن حكم بن محمّد بن هشام القرّشي لصلابته في السّنّة وإنكاره على أهل البدع، ثمّ هجر إفريقية واستقرّ في الأندلس.[2] وكذلك فعل حباشة بن حسن اليحصبي الذي كان يحدّث في الأندلس أنّ السّنّة تعرض سرّا في القيروان[3]. وأمّا أبو محمّد يونس بن محمّد الورداني الذي فضّل رعي البقر في البـوادي بعيدا عن أعين الشّيعة، وذلك حين طلبـ العبيديون أهـل العلـم والفضل، فخاف على نفسه، وكان هذا سببا لأن يكون مخمول الذّكر عند علماء القيروان [4] .

4.3. شراء ذمم بعض العلماء: وألصقت حول بعض العلماء شبهة التّعاطف مع بني عبيد، ومن هؤلاء أبو القاسم بن خلف البرادعي، وكان مبغضا عند أصحابه بسبب صحبة سلاطين الشّيعة، وفضلّ بعض أهل العلم القيروانيين التّشيّع طمعا في المناصب وطلبا للدّنيا، فأبو جعفر بن خيرون ألّف في نسب عبيد الله، فرشّحه للقضاء، ولكنّ القاضي محمّد بن عمر المرودي سعى بابن خيرون هذا حتّى قُتل.[5] وأمّا عبد الملك بن محمّد الضبي فتشيّع لحبّه المال، وكانت خطّة كتابة الوثائق تكفل ذلك، والشيعة لا يمنحونها إلا لمن تشيّع، فنالها الضبي وصار ثريا بما التزمه من

(1) رياض النّفوس، أبو بكر المالكي، ج2، ص: 170.
(2) تـاريخ علمـاء الأنـدلس، ابن الفرضي، ج1، ص: 222، ترجمة رقم 275.
(3) المصدر نفسه، ج1، ص: 236، ترجمة رقم 393.
(4) رياض النّفوس، المالكي ، ج2، ص: 45.
(5) طبقات علمـاء إفـريقية، محمد بن حارث بن أسد الخشني، ص: 175.

أخذ الدّراهم في كتب الوثائق، [1] ونال علي بن المنصور منصب القضاء بعد تشيّعه هو الآخر[2].

5.3. **تأسيس مراكز كشف عن خصومهم:** وأسس في عام (298هـ) إدارة تعرف بـ(ديوان الكشف) للتّحرّي عن المخالفين لمذهب الدّولة من الفقهاء والمفتين والقضاة والمؤذنين [3].

6.3. **منع العلماء من التّدريس:**وفي سنة 331هـ اشتدت الثّورة وأمعنت في اضطهاد العلماء وتعذيبهم حيث إنّ بني عبيد أظهروا نحلتهم الشّيعية علانيّة وأصدروا القرار بمنع تعليم أصول الشّريعة على مذاهب السّنة، وأوقفوا شيوخ القيروان عن إلقاء دروسهم في جامع عقبة، وخاصّة فيما يتعلق بالعقائد[4]. ولمّا خرج أبو عبد الله الشيعي في طلب عبيد الله استخلف أخاه أبا العباس، فأطلق يد محمد بن عمر المرودي فتصلّب وتكبّر، وكانت أيامه صعبة جدّا، وأخاف أهل السّنّة وترك أكثرهم الصلاة في المساجد، وأمر الفقهاء أن لا يفتوا ولا يكتبوا وثيقة إلا من تشرّق [5].

7.3. **النّهب والسّرقة:** ولمّا خرج أبو عبد الله الشّيعي في طلب عبيد الله استخلف أخاه أبا العباس، فأطلق يد محمد بن عمر المرودي فتصلّب وتكبّر، وكانت أيامه صعبة

(1) طبقات علماء إفريقية، محمد بن حارث بن أسد الخشني، ص: 218.
(2) المصدر نفسه: ص: 217
(3) البيان المغرب، ابن عذارى، 1/ 162.
(4) ترتيب المدارك، القاضي عياض، ج3، ص:308.
(5) طبقات علماء إفريقية، محمد بن حارث بن أسد الخشني، ص: 214.

جدّا، وأخاف أهل السّنة وترك أكثرهم الصّلاة في المساجد، وأخذ أموال الأحباس والحصون، وأخذ سلاح الحصون التي على البحر[1].

8.3. **الدّعوة للمناظرة:** ومن الجدير بالذّكر أنّ العلماء في هذه المرحلة كانوا يكرهون الجدل إلا لضرورة[2]، فلم يكونوا يلجئون إلى أسلوب الجدل، وأحجموا عن المناظرة بالأساليب الجدليّة والخوض في المسائل العقائدية اقتداء بسلف الأمّة[3]، ولذلك لم يدخل علماء القيروان في مجادلات مع الخوارج غالبا، فقد كتب عبد الله بن فروخ إلى الإمام مالك: «إنّ بلدنا كثير البدع، وإنّه ألف كلاما في الرّدّ عليهم، فنهاه الإمام مالك عن ذلك»[4]. وقد تمثلت مقاومتهم لأهل البدع عموما ومنهم الخوارج في مقاطعتهم، فلا يسلمون عليهم[5]، ولا يردّون عليهم السّلام، ولا يجالسونهم ولا يخالطونهم[6]، وينبذون مَن يجالسهم، ولا يمشون في جنازة مَن مات منهم، وقلّدهم العامّة في ذلك، واشتدوا على أهل البدع[7].

---

(1) المصدر نفسه، ص: 214.

(2) وصف الزُّبيدي أبا عثمان بن الحداد بقوله: «وكان الجدَلُ أغلبَ الفنون عليه، وكان دقيق النّظر جداً، ثابت الحجّة، شديد العارضة، حاضر الجواب صحيح الخاطر» ينظر: طبقات النّحويين واللغويين، للزُّبيدي، ص:239، ومن أشهرها مناظراته مع العبيديين، ينظر: رياض النّفوس، المالكي، ج2، ص:298-309، كذلك غيره من علماء القيروان.

(3) المدارس الكلامية، د. عبد المجيد بن حمدة، ص:10 و41.

(4) رياض النّفوس، المالكي، ج 1، ص:177.

(5) قال أبو العرب: «وكان ثقة مبائنا لأهل الأهواء، لا يسلّم على أحد منهم»، طبقات علماء إفريقيّة وتونس، أبو العرب، ص:123.

(6) المصدر نفسه، ص:54، والأمثلة كثيرة.

(7) المصدر نفسه، ص:34.

لكن في عهد الدّولة العبيدية اختلف الموقف لاختلاف الوضع، اكتظت حلقات الجدل واشتدت المناظرات وحمي وطيسها بين أهل السّنة والرّوافض، وكان أغلب مواضيعها يدور حول أفضليّة علي على غيره من الخلفاء الرّاشدين، وأحقهم بالخلافة وقد ألحّ الحكام الرّوافض على الجماهير من أجل إدخالهم في الغلوالشّيعي[1].

4. طرق التّغلب على المعوقات و ثمارها.

ولقد عمل علماء المالكيّة على التّصدي لهجمة الباطنيّة العبيديين، فكان هؤلاء العلماء الثّقات الأثبات من أهل السّنّة المالكيّة يظهرون الشّناعة على العبيديين وعلى أفعالهم المشينة، ويبيّنون عوراتهم، كما كشفوا عن معتقداتهم وكفرهم وزندقتهم وردّتهم عن الإسلام، وعن بدعهم الكثيرة من النّاحية العمليّة التي أحدثوها ولا مثيل لها في الإسلام، وقد كان لثباتهم -أي علماء القيروان المالكيّة- وصمودهم وتحمّلهم للأذى والسّجن والقتل أثر كبير في تثبيت عوام المسلمين على عقيدة أهل السّنّة، ولم يفلح العبيديون في إخلاء السّاحة من العلماء بأساليب التّرهيب والتّرغيب التي انتهجوها بهدف احتواء العامة بعد سقوط العلماء.وقال القاضي عياض: « (وقال أبو يوسف بن عبد الله الرعيني في كتابه: أجمع علماء القيروان أبو محمد وأبو الحسن القابسي وأبو القاسم بن شبلون وأبو علي بن خلدون وأبو بكر الطبني وأبو بكر بن عذرة: إن حال بني عبيد حال المرتدين الزنادقة؛ بما أظهروه من خلاف الشريعة فلا يورثون بالإجماع وحال الزنادقة بما أخفوه من التّعطيل فيقتلون بالزندقة»[2]. ولقد أبدع العلماء طرقا للتّغلب على هذه المعوقات بعدّة وسائل.

1.4. رفض دعوة العبيديين للدّخول في مذهبهم: لقد واجه علماء القيروان بالرّفض انتحال نحلة العبيديين والدّعوة إليهم مثل: ما ورد عن جبلة بن حمود (297هـ)[3]، وهو موقف

(1) ينظر: معالم الإيمان، الدّباغ، ج3، ص:91.
(2) ترتيب المدارك، القاضي عياض، 7/ 277.
(3) معالم الإيمان، الدّباغ، ج2، ص:273.

أغلب علماء القيروان[1]، ومن أبرزها؛ أنّ أبا بكر بن هذيل وإبراهيم بن البرذون قال لهما أبو عبد الله أشد أنّ هذا رسول الله وأشار إلى عبيد الله الشّيعي، فقالا جميعا بلفظ واحد: والله الذي لا إله هو لو جاءنا هذا والشّمس عن يمينه والقمر عن يساره، يقولان إنّه رسول الله ما قلنا إنّه رسول الله، وفي نهاية المطاق قتلا جميعا[2].

2.4. التّدريس في البيوت وغيرها: ولّما منع العبيديون العلماء من التّدريس، فاكتفى شيوخ المالكيّة والحنفيّة بلقاء تلاميذتهم في بيوتهم ودكاكين حِرَفهم وتعليهم أمور دينهم، تعويضا عن المساجد التي مُنعوا منها[3].

3.4. مناظرة العبيدين: وكان من أشدّ علماء القيروان على الشّيعة جبلة بن جمود وأبو الفضل المسي وربيع القطان وأبو إسحاق السّبائي وكان من أقواهم حجة أبو عثمان سعيد بن الحداد وأبو محمّد بن التّبان وقد ذكر اصحاب التّراجم نصوص مناظرات ابن الحداد وابن التّبان، وهي مناظرات اتسمت بدقة التّعبير وقوة الحجة وعمق الإيمان، وذكر الخشني في طبقاته أنّ مجالس ابن الحداد مع الرافّضة أربعون مجلسا لم بصلنا منها إلا أربعة[4]. ولم يزل علماء القيروان يناظرون على مذهب أهل السّنّة ويرون ذلك من أعظم الجهاد حتّى ضعفت شوكة أهل البدع والأهواء، وردّ الله كيدهم في نحورهم.

4.4. كتابة الرّدود العلميّة على المبتدعة: ومن أشهر العلماء الذين كتبوا هو المناظر الكبير والعنيد جدا ابن الحداد؛ فقد كتب ردّا على أهل المذاهب أجمعين [5].

---

(1) المصدر نفسه، ج2، ص:263-264.

(2) ينظر معالم الإيمان، ج2،ص:263،268..

(3) ترتيب المدارك، القاضي عياض، ج3، ص:308.

(4) معالم الإيمان، الدّباغ، ج3، ص:111، وطبقات العلماء، الخشني، ص99، ومدرسة الحديث في القيروان، حسين شواط، ج1، ص:80.

(5) ينظر:معالم الإيمان، ج2، ص:296.

5.4. مقاطعة حضور خطب العبيدين: لما خطب عبيد الله الشّيعي أول جمعة وجبلة بن حمود جالس عند المنبر فلمّا سمع كفرهم قام قائلا وكشف عن رأسه حتى رآه النّاس، وخرج يمشي إللا آخر الجامع وهو يقول قطعوها قطعهم الله، فما حضرها أحد من أهل العلم بعد ذلك [1].

6.4. استثمار العلماء لمكانتهم عند الشّعوب: وتكلّم أبو عثمان عنده يوما، فغضب من كلامه رجل من كتامة يعرف بأبي موسى شيخ المشايخ، وقام إليه بالرّمح، فمنعه أبو عبد الله من ذلك، ثمّ عطف إلى أبي عثمان فقال له: «يا شيخ لا تغضب، إذا غضب هذا الشّيخ غضب لغضبه اثنا عشر ألف سيف» [2] فخاف الحاكم من أبي عثمان نظرا لمكانة هذا العالم عند النّاس.

7.4. البقاء في القيروان لتثبيت النّاس: وأنكر أبو جعفر أحمد بن نصر الدّاودي الأسدي وكان من أئمّة المالكيّة بالمغرب على معاصريه من أهل القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد وبقاءهم بين أظهرهم، وأنّه كتب إليهم مرّة بذلك، فأجابوه بأنّ بقاءهم مع من هناك من عامة المسلمين تثبيتا لهم على الإسلام وبقية صالحة للإيمان، وأنّهم لو خرجوا من إفريقية لتشيّع من بقي فيها من العامة، فرجّحوا خير الشرّين [3].

8.4. مقاطعة العلماء الذين مالوا لبني عبيد: ولما ترجم القاضي عياض حياة أبي القاسم خلف ابن أبي القاسم الأسدي (وهو من أشهر تلاميذ ابن أبي زيد القيرواني، ولم تحلّ له رئاسة بالقيروان، وكان مبغضاً عند أصحابه، بصحبة سلاطينها الذين تبرأوا منهم. فكان مرفوض القول لديهم، ثقيل المكان عليهم. ويقال: إنّ الفقهاء أفتوا برفض كتبه وترك قراءتها ويقال إن الذي مكّن تغيرهم عليه، أنه وجد بخطه في ذكر بعض بني عبيد، أو أسبابهم يتمثل في تفريطهم بهذا البيت المشهور:

أولئك لوم إن بنوا أحسنوا البناء ... وإن وعدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

---

(1) المصدر نفسه، ج2، ص:273.

(2) رياض النّفوس، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، ،ج2، ص 72.

(3) ترتيب المدارك، القاضي عياض ، ج3، ص: 709.

ويقال: بل سببه أنه ألّف كتاباً في تصحيح نسب بني عبيد، وأنّه كانت تأتيهم إمامة)[1].

9.4. حراسة ثغور القيروان من جهة العبيديين: لما دخل عبيد الله الشّيعي إفريقيّة ونزل رقادة ترك جبلة بن حمود الرّباط ونزل القيروان، فكُلم في ذلك، فقال:كنّا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر، والآن حلّ هذا العدو باحتنا؛ وهو أشدّ علينا من ذلك، فكان إذا أصبح صلّى الصّبح خرج إلى طرف القيروان من ناحية رقادة معه سيفه، وترسه، وسهامه، وجلس محاذيا لرّقادة إلى غروب الشّمس، يقول:أحرس المسلمين منهم فإن رأيت شيئا حرّكت المسلمين عليهم [2].

10.4. مجاهدتهم بالسّيف: وقد استشمر علماء السّنّة خروج أبي يزيد على العبيديين، وكانت هذه الثورة الخارجيّة لم تعرف الدّولة العبيديّة أخطر منها، حيث كادت تهدم أركانها وتقضي عليها. وما يميّز هذه الثّورة الخارجيّة عن غيرها من الثّورات مشاركة علماء أهل السّنّة المالكيّة فيها، فقد رأى فقهاء القيروان وصلحاؤهم أنّ الخروج مع أبي يزيد متعيّن لكفر بني عبيد، ومنهم أبو إسحاق السّبائي من فقهاء القيروان ومن أشدّ النّاس بغضا للشّيعة، فقد روي عنه أنّه كان إذا رقي أحدا يقرأ في رقيته الفاتحة والمعوذتين كلّ سورة سبع مرّات، ثمّ يقول في آخر رقيته: «ببغضي بني عبيد وذويه وحبّي في نبيّك وأصحابه وأهل بيته»، وكان يشير إلى أصحاب أبي يزيد ويقول: «هؤلاء من أهل القبلة، فإن ظفرنا بهم – أي بالشّيعة العبيديين – لم ندخل تحت طاعة أبي يزيد، والله يسلّط عليه إماما عادلا يخرجه عنّا» [3]. وخرج معه أبو الفضل المسي الذي كان يقول: «إنّ الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم اسم الإسلام ويورثون ويرثون، وبنو عبيد ليسوا كذلك لأنّهم مجوس زال عنهم اسم الإسلام، فلا يتوارث معهم ولا ينسب إليهم»[4] ، وربيع بن سليمان القطان الذي جعل على نفسه أن لا يشبع من طعام حتى يقطع الله دولة بني عبيد، وعندما عوتب في خروجه قال:

(1) ترتيب المدارك، القاضي عياض: ج7، ص: 258.
(2) ينظر معالم الإيمان، ج2،ص:272.
(3) رياض النّفوس،المالكي، ج2، ص: 469 . ترتيب المدارك،القاضي عياض، ج3، ص: 376.
(4) رياض النّفوس،المالكي ، ج2، ص: 298.

«كيف لا أخرج وقد سمعت الكفر بأذني، فمن ذلك أني حضرت يوما إشهادا فيه جمع كثير أهل سنة ومشارقة، وكان بالقرب منّي أبو قضاعة الدّاعي، فأتى إليه رجل مشرقي من أعظم المشارقة، فقام إليه رجل منهم وقال له: إلى ها هنا يا سيدي ارتفع إلى جانب رسول الله ﷺ، يعني أبا قضاعة، فكيف يسعني أن أترك القيام عليهم»[1]. وأبو العرب بن تميم الذي حسم الأمر عندما تناظر النّاس حول شرعية الخروج، فقال لهم: «اسكتوا»، فسكت النّاس فقال: ﴿حدثني عيسى بن مسكين عن محمّد بن عبد الله يرفعه إلى النّبي ﷺ أنّه قال: «يكون في آخر الزّمان قوم يسمون الرّافضة، فإن أدركتموهم فاقتلوهم فإنّهم كفّار» [2]، فلمّا تمّ الحديث كبّر الناس وارتفعت أصواتهم ثمّ خرجوا.[3] وحتى أصحاب الأعذار أرادوا المشاركة في القتال ولو بشكل رمزي، فأبو ميسرة الضرير مشى شاهرا السّلاح في القيروان[4]. ثمّ اجتمعوا وركبوا بالسّلاح التّام والبنود والطبول، وأتوا حتى ركّزوا بنودهم قبالة الجامع وكانت سبعة بنود، وحضرت صلاة الجمعة فخطب خطيبهم أحمد بن أبي الوليد خطبة بليغة، وحرّض النّاس على الجهاد وسبّ بني عبيد، وأعلم النّاس بالخروج من غدهم، فخرج النّاس مع أبي يزيد لجهادهم، وحصروهم في المهديّة، فلما رأى أبو يزيد ذلك ولم يشكّ في غلبته أظهر ما أكنّه من الخارجيّة، فقال لأصحابه: « إذا لقيتم القوم فانكشفوا عن علماء القيروان حتى يتمكن أعداؤهم منهم»، فقتلوا منهم من أراد الله سعادته ورزقه الشّهادة، فمنهم الممسي وربيع القطان في خمسة وثلاثين من الفقهاء والصّالحين، وذلك في رجب سنة 333 هـ، ففارق النّاس أبا يزيد، وأظهروا السّنّة وحلّقوا بالجامع[5]. وقالوا: «قتل أولياء الله شهداء، واشتدّ

(1) رياض النّفوس،المالكي ، ج2، ص: 323 و ما بعدها.
(2) هذا الحديث ضعّفه كثير من أهل العلم وقد فصّل فيه القول الشّيخ الألباني، ينظر: سلسلة الأحاديث الضّعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، 13/ 568-572.
(3) رياض النّفوس،المالكي، ، ج2، ص: 309.
(4) ترتيب المدارك، القاضي عياض، ج3، ص: 317.
(5) ترتيب المدارك، القاضي عياض، ج3، ص: 318. وحول مشاركة علماء السّنّة المالكية في ثورة صاحب الحمار أنظر أيضا : رياض النّفوس،المالكي،، ج2، ص: 340 وما بعدها.

بغضهم له»[1]. وكانت هذه إحدى أهم الأسباب التي أدّت إلى هزيمة أبي يزيد وقتله، وكما هو متوقع لم يستتبع هذه الثّورة إلا المزيد من العداء بين الفاطميين والعلماء. ولقد بذل علماء المالكيّة جهودا كبيرة للدّفاع عن عقيدتهم أمام المدّ الشيعي الإسماعيلي الذي اجتاح المنطقة، ووقفوا له بالمرصاد وستستمر مقاومتهم للشّيعة الفاطميين ما بقيت رايتهم تعلو في سماء بلاد المغرب وإفريقيّة.

5. الخـــاتمـــة:

بعد الإطلالة السّريعة على بعض الأحداث التي مرّ بها علماء المالكيّة زمن العبيديين نخلص لما يأتي:

1- للدّعوة رجالها المخلصون الذين يبذلون الغالي والرّخيص في سبيل نجاحها، ولها خصوم يبذلون قصارى جهدهم لأجل الحيلولة بينها وبين غاياتها.

2- من أخطر عوائق الدّعوة أن يكون الخصم يملك السّلطة، والمال، والعلم، والنّفوذ،ويتفنن في استعمال التّرهيب والإغراء مع العامّة والخاصّة.

3- تعرّضت القيروان لعدّة محن أعاقت الدّعوة، وكبدتها خسائر في الزّمن، والأرواح، والطّاقات العلميّة، وأخرّت من تقدمها نحو أهدافها فينقل النّور لبلدان الغرب.

4- استعمل خصوم الدّعوة وسائل عديدة منها:فرض الفكر بالقوة، ومنع العلماء من تدريس فكرهم، وإقامة مناظرات ثم قتل وسجن ونفي وإغراء العلماء والتّنكيل بهم بعد ذلك، وإهانة العامّة والخاصّة بسبّ مقدساتهم وامتهانها دون خجل.

(1) البيان المغرب، ابن عذارى، ج1، ص: 218.

5- استعمل علماء السّنّة المالكيّة وسائل عديدة استطاعوا من خلالها تجاوز العقبات والمعوقات التي نصبها خصومهم، منها: الثّبات في القيروان مع النّاس، وتعليمهم في كلّ مكان يسمح بذلك، ومناظرة العبيديين وكتابة الرّدود العلميّة عليهم، والثّبات في قول الحق والتّضحيّة بالنّفس لأجل ذلك ومقاطعة جمعهم وأعيادهم، وانتهى الأمر بهم للخروج المسلح ضد العبيديين.

6- نجح علماء المالكيّة في تثبيت عقيدة النّاس، وعدم الخضوع للعبيديين وبقيت الثّورة في نفوسهم حتى انتهت دولتهم وزال ملكهم وعادت حريّة أهل السّنّة لهم.

-التّوصيات:ونوصي في الأخير:

أ- دراسة تاريخ الدّعوة والدّعاة في مختلف العصور، ومعرفة المعوقات التي تعرّضوا لها وكيفيّة الخروج منها.

ب- جعل خطط دعويّة مستقاة من تاريخ الدّعوة الحافل.

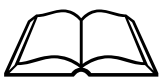

6. المصادر و المراجع:

1- القرآن الكريم.

2- اتعاظ الحنفا، أحمد بن علي المقريزي،تحقيق: د جمال الدّين الشيال، و: د محمّد حلمي، النّاشر: المجلس الأعلى للشّئون الإسلاميّة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط: 1.

3- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي، تحقيق ومراجعة: ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة – بيروت، الطبعة الثالثة/ 1983م.

4- تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة البصري ،تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، الناشر: دار القلم ، مؤسسة الرسالة - دمشق، بيروت، ط: 2، 1397هـ. تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان،ط: 2، 1408 هـ- 1988 م.

5- ترتيب المدارك، القاضي عياض، تحقيق: محمد بن شريفة وسعيد أعراب، طبعة وزارة الأوقاف المغربية/ 1982م.التّخطيط للدّعوة الإسلامية وأهميته، عبد رب النبي علي أبو السعود.

6- دار التوفيق النموذجية للطباعة، القاهرة.، ط1، 1412هـ.

7- الحلة السّيراء،ابن الأبار،تحقيق: الدكتور حسين مؤنس، الناشر: دار المعارف القاهرة، ط: 2، 1985م.

8- الدّعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد عبد الرحمن الراوي، الدار القومية للطباعة والنشر، ط: 1965م .

9- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون.
10- رياض النّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، حققه: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان،ط: 2، 1414 هـ- 1994م.
11- سلسلة الأحاديث الضّعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني،دار النشر: دار المعارف، الرياض - المكلة العربية السعودية،ط: 1، 1412 هـ / 1992 م.
12- طبقات النّحويين واللغويين، أبو بكر الزبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، النّاشر: دار المعارف،ط:2،د.ت.
13- طبقات علماء إفريقيّة و تونس،محمّد بن أحمد أبو العرب القيرواني،تحقيق: علي الشّابي ونعيم اليافي، ط،2، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس.
14- طبقات علماء إفريقيّة، محمّد بن الحارث الخشني، تحقيق وتعليق د. محمّد زينهم محمّد عزب،مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر،ط:1,1413هـ-1993م.
15- الكامل في التّاريخ،ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السّلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان،ط: 1، 1417هـ / 1997م.
16- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي الشّهير بالمتقي الهندي، تح: بكري حياني صفوة السّقا، مؤسسة الرّسالة،ط: 5، 1401هـ/ 1981م.
17- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور، دار صادر – بيروت، لبنان،ط: 3 - 1414 هـ.

18- المدارس الكلاميّة بإفريقيّة إلى ظهور الأشعريّة، أصلها اطروحة دكتوراه نوقشت في الزّيتونة سنة 1405هـ/ 1985م، الدّكتور عبد المجيد بن حمدة، مطبعة دار العرب تونس،ط،1، 1406هـ/ 1986م.

19- المدن والآثار الإسلاميّة أحمد الخالدي:.https://books.google.dz/books ، يوم 06/ 09/ 2017.

20- مختار الصّحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تح: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا،ط: 5، 1420هـ / 1999م.

21- مدرسة الحديث بالقيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهدري، الحسين بن محمد شواط ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي الرياض المملكة العربية السعودية، 1411:1هـ.

22- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد عبد الرحمن بن محمّد الأنصاري ابن الدّباغ، و أكمله و علق عليه أبو القاسم بن عيسى التّنوخي، تصحيح و تعاليق إبراهيم شبوخ،مكتبة الخانجي بمصر، ط:2، 1388هـ-1968م.

23- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر – بيروت- لبنان، د ط و د ت.

24- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت-لبنان.

25- http://midad.com/article/213601/%D8%A8%D8%B5%D8%A7%D8%A6%D8%B.